اللغة الآرامية في العهد اليوناني

وفي سنة 331 ق. م. هُزِم الفرس الأخمينيّون على يد الأسكندر المقدوني ، في معركة (اربلا) في الموقع المسمى (كوكميلا) بالقرب من مدينة اربيل حالياً، وفتحت بابل في السنة نفسه، وفرض الاسكندر سيطرته على اجزاء واسعة من الشرق الأدنى، فأضحت بعد ذلك اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية.

وبعد وفاة الأسكندر المقدوني ، قُسّمت إمبراطوريته بين قادته إلى ثلاث ممالك سلوقى ، بطليموس، انتيكوس، فكان العراق جزءا من المملكة السلوقية الممتدة من الهند إلى حدود مصر.

وأمام هذا المد اليوناني والثقافة الهلينية انحسرت اللغة الآرامية، وانحطت عن مرتبتها الرفيعة ، وفقدت الوحدة التي كانت تتمتع بها تحت ظل الإدارة الفارسية ، الا انها بقيت لغة الشعب الدارجة .

فالكتابات النبطية تقدم لنا آرامية اقرب إلى "آرامية المملكة" وترتقي هذه الكتابات الى عهد يتراوح بين القرن الأول ق.م. والقرن الثالث الميلادي، وتتوزع على مجموع البلاد النبطية، من شمال الحجاز(حجرة) الى الحدود السورية الجنوبية (بصرى) في طريق البتراء العاصمة . وفضلا عن ذلك كمية وافرة من الرسوم التي وجدت في شبه جزيرة سيناء ، وعددها يربو على 3000. فالنبطيون ربما كانوا عربا يتعاملون بالعربية ، وهناك آثار بينة من التأثير العربي بادية على الآرامية في كتاباتهم، لاسيما في الألفاظ ، أما تدمر فقد أظهرت كتاباتها الصلة المتينة بآرامية المملكة مع تجديد كبير في الإملاء والقواعد نشأ عن نمو اللغة نموا مستقلا .

وفي فلسطين – السامرة والجليل- حلّت الآرامية محل العبرية لغة محكية وأهمل اليهود اللغة العبرية لغة التخاطب فيما بينهم واحتفظوا بها لغة مقدسة (لغة دين وعلم). ولهذا فقد احتوى الكتاب المقدس نفسه على بعض نتف آرامية تعود الى ذلك العصر، فهناك زيادة آرامية على نص ارميا (11/10) وحاشية آرامية من كلمتين عبريتين في سفر التكوين (47/31) ومقاطع مهمة في سفر عزرا (8/4-18/6 و12/7-26) ، وما يقرب من نصف سفر دانيال (4/2-28/7) . ويظن الباحثون المعاصرون ان سفر دانيال ربما يرتقي في مجموعه الى سنة 167 او 166 ق.م.، ويحتمل ان السفر كله كتب باللغة الآرامية ثم نقلت بدايته ونهايته الى العبرية لتسهيل مهمة دمجه في مجموعة الكتب المقدسة كما اسلفنا سابقا، فآرامية الكتاب المقدس (آرامية العهد القديم) كانت الآرامية الوحيدة التي عرفت عن عهد ماقبل الميلاد ،

وكان يطلق عليها اسم " الكلدية " وان كان لها صلة استمرار متينة مع آرامية المملكة لكنها لم تكن آنذاك الا لهجة موضعية أي آرامية فلسطينية.

واستمر الناس يتخاطبون بالآرامية ، وكانت هي اللغة الوحيدة التي يتقنها الناس في عهد السيد المسيح . وبها كانت تشرح الأسفار المقدسة في المجامع والكنس اليهودية ، وهكذا نشأ (الترجوم) وهي ترجمات آرامية مفصلّة للكتاب المقدس، ولدينا شواهد أخرى عن الآرامية الفلسطينية ، منها تلمود أورشليم وبعض الكتابات القبرية.

اما في بلاد الرافدين، ومنذ انتشار المسيحية فيها، فقد أخذت الآرامية القديمة تترسخ في النصوص الأدبية وفي الكتابات بلهجاتها الرئيسية الثلاث وهي: اليهودية- البابلية والمندائية والسريانية. فالآرامية اليهودية – البابلية هي لغة تلمود بابل الذي كتب في القرن الخامس والسادس الميلادي، وصدر عن الجماعات اليهودية المستقرة في بابل القديمة . أما المندائية فهي لغة الصابئة المندائيين التي ازدهرت أيضا في بلاد بابل في مطلع المسيحية وخلفت لنا كتبا عديدة ، وكانت السريانية لغة الرها الخاصة ، والرها مدينة واقعة في حوض الفرات الكبير، غير بعيدة عن حران القديمة، وكان لأهمية كنيسة الرها المتزايدة اليد الطولى في إقرار هذه اللغة واتخاذها لغة فصيحة وكلاسيكية للجماعات المسيحية المنتشرة في بلاد الرافدين وفي سوريا ، ولنا من هذه اللغة أدبا غزيرا ، لاسيما اللاهوتي منه، ويتضمن ترجمات عدة مؤلفات يونانية في الفلسفة والعلوم.

أما الشواهد الأثرية التي عثر عليها والتي ترجع إلى الفترة الهلينية في بلاد الرافدين ،فهي وثائق رسمية مكتوبة بالآرامية تشير إلى أن مدينة (أوروك) كانت تسمى عند الإغريق (أورخوي) وتستوطنها جالية يونانية، كماعثر كذلك على كتابة آرامية ترجع إلى العهد نفسه مكتوبة على آجر مزجج في حجرة العبادة المقدسة الخاصة بمعبد ايركال في مدينة أوروك ، وعثر أيضا على قطع طينية كتب عليها بالآرامية والإغريقية كانت تربط بالوثائق لتعيين مضامينها.